



## تدبر القرآن فريضة الأمة بواسطة الدلالة على الخير

أ.د. ناصر العمر

وَعَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ إِلَى التَّدْبِيرِ فِيمَا أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِصُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ فَبَيْنَهُ أَوْ

هَذَا التَّدْبِيرُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو

الْأَلْبَابِ } [ص: ٩٢]، وَأَنَّكَ عَلِيُّ مِمَّنْ أَعْرَضَ عَنْ تَدْبِيرِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا

لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ } [المؤمنون: ٨٦]، وَأَوْجِبُ التَّدْبِيرَ - كَمَا قَالَ الشُّوْكَانِيُّ (١) - بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

{ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نُنزِلُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلٍ مُبَارَكَةٍ وَأَنَّا نُنزِلُ الْقُرْآنَ فِي قُرْآنٍ مُبَارَكٍ } [النساء: ٢٨]،

وَقَوْلِهِ: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد: ٤٢].

يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ التَّدْبِيرِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ، فَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا، فَمِمَّنْ لَوْازِمُ اسْتِخْلَافِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِنِي

آدَمَ فِي الْأَرْضِ كَمَا فِي قَوْلِهِ لِلْمَلَائِكَةِ: { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة: ٣٠]، أَوْ بَيْنَهُ لِمَنْ اسْتِخْلَفَهُمْ

مِنْهُنَّ بَيْنًا وَاضِحًا يُؤَدِّدُ بِهِ حَقَّ الْخِلَافَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَرْتَبِيهِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا يَتِمُّ بِمَا يُوحِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ

مِنَ الشَّرَائِعِ عِبْرَ الزَّمَانِ، فَلَمَّا آتَتْ الْخِلَافَةَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتَمِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهَا هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا

كِتَابَ بَعْدَهُ، كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَحْوِيَ بَيْنَهُ دَفْتِيهِ مِنْهُنَّ تَحْقِيقَ الْخِلَافَةِ، وَلَكِنْ تَعَرَّفَ الْأُمَّةُ عَلَى تَفَاصِيلِ هَذَا الْمَنْهَجِ

فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ تَدْبِيرِ آيَاتِهِ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ السُّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (التأمل في معانيه، وتحديد

الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك) (٢)، أَيْ: وَلَوْازِمُ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ وَالِاتِّبَاعِ.

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي حَالِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ الْيَوْمَ لَا تَخْطُئُ عَيْنُهُ مَا يَرَى مِنْ إِقْبَالِ أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ

مِنْهُمْ؛ رِجَالًا وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا، عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّلَاوَةِ وَالْحَفِظِ؛ فَجَمْعِيَّاتُ التَّحْفِيزِ مُمْتَدَّةٌ فِي

طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا، وَالْمَسَاجِدُ تَمْتَلِئُ بِحُلُقِ التَّلَاوَةِ وَالتَّحْفِيزِ، وَدُورَاتُ التَّحْفِيزِ تَخْرُجُ كُلَّ عَامٍ الْعِشْرَةَ

وَالْمِنَاتِ مِنَ الْحِفَافِ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ هُوَ الْعَصْرُ الذَّهَبِيُّ لِحَفِظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَهَذَا بَلْكَ تَأْكِيدٌ مِمَّا





إسهام جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في بناء الأجيال، الواقع والمأمول، ص ١١٦-١٢٦. (٤) تفسير ابن

كثير (٥) فتح القدير ٧/٦٣٣ (٦) التحرير والتنوير ١/٨٥٣ (٧) تفسير السعدي

(٨) مدارج السالكين ١/١٥٤ (٩) تفسير السعدي ١/٩٨١-٩٩١ موقع المسلم